العربية بين اللغات الجزرية

م. د. عصام مصطفى آل عبد الواحد
قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة الأنبار

المقدمة

الحمد لله الّذي جعل كتابه منزلاً باللسان العربي المبين، فشرّف العربية والعرب بذلك أحسن تشريف، ثم الصلاة والسلام على أفصح من نطق بها سيد أسياد البلاد، ورضاه جل وعلا على الآل والأصحاب إلى يوم الدين، آمين.

أما بعد:

فالعربية متميزة من اللغات بكثرة القواعد وتشعب الآراء واختلاف اللهجات واختلاف المعاني باختلاف العوامل واختلاف السياقات، وتتميز كذلك بأنها حفظت نفسها بنفسها، فحفظت القواعد بحفظ الكلام العربي ولا سيما القرآن الكريم والشعر العربي .

وحفاظاً على القرآن الكريم ولأجل إفهام معانيه واستنباط أحكام الشريعة منه صار علماء العربية المتقدمون يبحثون في كل فج عن كل التفاتة، فصاروا إلى القرآن الكريم والشعر العربي مضافاً إليه الأمثال والحكم.

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة في تأريخ هذه اللغة التي حفظها الله تعالى بحفظ كتابه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر٩/١٥)فبدأت الدراسات ـ الدراسة تلو الدراسة ـ حتى وصل الأمر إلى علماء هذا القرن فصارت اللغة العربية لا تشغل عقول أصحابها فحسب بل تعدّت إلى عقول أصحاب لغات أخرى وهم المستشرقون، فصاروا يفتشون عن أصولها وأحوالها وعلاقتها مع غيرها حتى صنفت عندهم في حقل الدراسات السامية التي أطلق عليها مؤخراً (اللهجات الجزرية).

ونتيجةً لاطلاعي على كتب اللهجات التي تناولتها ولو بإيجاز ولا سيما كتب فقه اللغة وعلمه تكوّنت لدي فكرة لكتابة بحث يخص لغتنا العربية وتميزها من أخواتها السامية (الجزرية) تناولتُ فيه تميز هذه اللغة من سائر أخواتها واختصاصها بسمات لم يكن لها وجود عند غيرها، فكان البحث في أربعة مباحث.

جعلت المبحث الأول في أربعة مطالب، تناولت في المطلب الأول أقدم اللغات الجزرية، أما المطلب الثاني فقد تناولت فيه أقسام هذه اللغات، أما المطلب الثالث فكان لما تبقى من اللغات الجزرية، أما المطلب الرابع فكان للقرابة بين اللهجات الجزرية.

أما المبحث الثاني فكان في مطلبين، جعلت المطلب الأول لخصائص اللغات الجزرية، وخصّصت المطلب الثاني لخصائص اللغة العربية.

أما المبحث الثالث فدار في ثلاثة مطالب، أخذ المطلب الأول منه المراكز التي تبلورت فيها العربية، وأخذ المطلب الثاني أفصح اللهجات العربية، بينما أخذ المطلب الثالث أسباب انتشار اللغة العربية.

أما المبحث الرابع فقام على ثلاثة مطالب، تناول المطلب الأول منه المصادر التي ترشدنا إلى البقية الباقية من اللهجات العربية، وتناول المطلب الثاني مظاهر اختلاف اللهجات، بينما كان المطلب الثالث مخصصاً لمصادر اللغة العربية الأساسية.

وقبل ذلك يأتي التمهيد، وبعده تأتي خاتمة البحث وفيها نتائجه. والحمد لله رب العالمين .

تمهيد

إن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ هي التي يطلق عليها العربية الفصحى، أما بقية لهجات العرب فهي فروع منها وكلاهما فرع من مجموعة لغات[1] استهوت المستشرقين لدراستها فدرسوا

(١) ينظر: اللهجات العربية الغربية ١٧ .

مفاصلها وبحثوا عن أسرارها، وقد عرفت دراساتهم هذه عندهم بالساميات[٢] وهي تتناول بالدرس والتحليل كل اللغات التي يزجها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية، بقطع النظر عن أنها لغة حية منطوقة أو لغة ميِّتة مكتوبة لا وجود لحياتها في هذا العصر.

والحق أن تعرف هذه اللغات باسم اللغات الجزرية نسبة إلى شبه جزيرة العرب كما ذهب إليه الأستاذ طه باقر، إذ إن الجزيرة كانت مهد أولئك الأقوام الّذين شملتهم تسمية السامية وهي حقيقة ذهب إليها أكثر الباحثين[٣] .

أما تسمية الساميات فقد بنيت على أساس غير علمي مرتبط باعتبارات سياسية لا تخدم الأمة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها[٤] ونظرة جغرافية آنية[٥] فحسب، لذلك جُعل العيلاميون واللوديون من أبناء سام؛ لأنهما كانا في رعايا الدولة الآشورية، على الرغم من أنه لا توجد بين هذين الشعبين صلة قرابة، ولا بينهما وبين الآشوريين من ناحية ثانية، وجُعل الفينيقيون من أبناء حام على الرغم من أنهم أقرب الشعوب إلى العبرانيين[٦] .

وأول من أطلق هذه التسمية (شلوتسر) الألماني في أبحاثه وتحقيقاته في تأريخ الأمم ١٧٨١م وقد استخلص التسمية هذه من الجدول الخاص بأولاد نوح عليه السلام سام، وحام، ويافث، وقد وردت في العهد القديم[٧] حيث يرجع هذا الجدول كل الشعوب التي عمرت الأرض بعد الطوفان إلى أولاد نوح الثلاثة[٨] وفي هذا الإرجاع نظر؛ إذ إن الحقيقة القرآنية تثبت خلاف ذلك، لأن السفينة الناجية لم تكن لتحمل أولاد نوح الثلاثة وأباهم عليه السلام فحسب، بل كان على متنها نفر من الّذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أمرنا قلنا احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول ومن آمن، وما آمن معه إلاّ قليل﴾[٩] وقد قيل: إن عددهم كان يربو على السبعين، وكانوا رجالاً ونساءً[١٠] وربما كان من بينهم أُسَر كاملة، فأين سلالات أولئك النفر؟! ويمكن عدُّ هذا الأمر دليلاً آخر على صحة تسمية تلك اللغات بالجزرية.

عل أية حال فاشلوتسر رأى أن هذه التسمية تنطبق على العرب والعبريين والأحباش لوجود صلات قرابة بين لغاتهم أولاً، ولأن جدول الشعوب يرجعهم إلى سام بن نوح، وتقوم دراسة الساميات على المقارنة بين اللغات الجزرية ومعرفة ميزات كل لغة وما بينها وبين اللغات الأخرى من فروق أو تطابق أو تشابه، اعتماداً على ما عثر عليه من نصوص تارةً وعلى آثار اللغويين العرب واللغة العربية بلهجاتها تارةً أخرى[١] .

وهذه الأسس اتُبعت كذلك في دراسة اللهجات العربية القديمة قال رابين: "نحن لا نستطيع رؤية اللهجات العربية الغربية إلاّ من خلال العربية الفصحى التي يستعملها أصحاب هذه اللهجات"[٢] وقال في موضع ثانيةً: "وفي هذه المرحلة لا نستطيع التعرف على البقايا العربية الغربية إلاّ بمساعدة ما ذكره علماء اللغة العربية القدامى"[٣] وقال في موضع ثالثةً: "إن قائمة فرايتاج قد أقنعت الكثيرين بعدم جدوى هذا الحقل الدراسي، وأن المادة الفنية التي جمعها د. H-KOFLER بفضل عمله الشاق وقراءاته الواسعة قد تلقي باليأس في نفس من يحاول استغلالها في دراسة هذه اللهجات نظراً لإهماله العامل الجغرافي"[٤] .

فدراسة اللغات بالاعتماد على غيرها قد يحل كثيراً من المشاكل ويوصل إلى نتائج قد تكون جديدة لم يسبق إليها.

ولا نريد بهذا أن نبخس حق اللغويين العرب القدامى أو أن نقول: إنهم كانوا على جهل بهذه الدراسات أو هذه اللغات، بل اطلع عليها غير واحد منهم، وربما وضفها بعضهم في دراسة العربية لكنهم لم يولوها العناية الفائقة كما أولاها الدارسون اليوم ولا سيما المستشرقون.

---

(١) ينظر: اللهجات العربية الغربية ١٧ ، وفقه اللغة ٦٧ ، ودراسات في فقه اللغة ٤٧ .

(٢) ينظر: من تراثنا اللغوي القديم ١٧ ، وفقه اللغة العربية ٦٧ ـ ٦٩ ،وفقه اللغة.علي عبد الواحد وافي ٧،ودراسات في فقه اللغة٤٨٧.

(٣) ينظر: فقه اللغة د. حاتم الضامن ٢٤ .

(٤) أي نظرة جغرافية آنية وقت التقسيم الجدولي لهذه اللغات .

(٥) ينظر: فصول في فقه اللغة ٢١ ، وفقه اللغات السامية بروكلمان ١١ .

(٦) ينظر: الإصحاح العاشر من سفر التكوين ١١/ ١ ، وتأريخ اللغات السامية ٢ ، وفصول في فقه اللغة ٢١ ، وفقه اللغة العربية ٦٧.

(٧) ينظر: فصول في فقه اللغة ٢١،ودراسات في فقه اللغة ٤٨.

(٨) هود ١١ / ٤٠ .

(٩) ينظر: تفسير الفخر الرازي م٩/ ج١٧/ ص٢٣٦ ، وتفسير البيضاوي م٤٥٧/١ .

(١٠) ينظر: اللغات السامية في مجال علم اللغات محمد سليم رشدان، مجلة اللسان العربي ص ٤٥ ، لسنة ١٩٧٠م .

(٢) ، **(٣)** ، (٤) ينظر اللهجات العربية ٢٦ .

المبحث الأول

المطلب الأول

أقدم اللغات الجزرية

لقدماء علماء اللغات الجزرية في أقدم لغات الجزيرة آراء بنيت علىأسس دينية ونفسية، فتعصب كلٌّ للغته وحملهم تعصُّبهم هذا وتقديسهم لها على تفضيلها على غيرها من لغات أبناء آدم.

وللمستشرقين آراء في أقدم اللغات السامية، فذهب (أولس هاوزن) Ols Housen إلى أن المصدر لهذه اللغات الجزرية هو (السامية الأولى) "التي نطق بها في اعماق الدهر أقوام زالت بزوالهم وفنيت بفنائهم، وبقيت منها ظلال ورسوم، يلمحها الرائي على ألسنة أحفاد أولئك الأقوام الّذين تنوعت ألسنتهم باختلاف مواطنهم في الشمال والجنوب"[١] .

وذهب آخرون إلى أن اللغة العبرية هي ذلك الأصل، بل قال بعضهم: هي لغة الإنسان الأول[٢] جاء في مولد اللغة: "وادعى العبرانيون أن العبرانية هي الأولى وأنها لغة الإنسان الأولى؛ لأن أسماء الأنبياء الأولين وآباء البشر عبرانية، وفي ذلك دليل على أنها كانت لغة لهم.."[٣] .

واعتقد قوم أن الآرامية هي المقدمة، جاعليها البنت الأولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الأصلية أكثر من اجتماعها في أي لغة أخرى، ولهذا استحقت في رأيهم التكريم والتقدير[٤] .

وذهب فريق إلى تقديم اللغة العربية على سائر اللغات الأخرى؛ لمحافظتها أكثر من بقية اللغات الجزرية على الخصائص الأولى، وعدم تنصّلها منها، وتركها لها ولا سيما الّذي نراه من استعمالها للمقاطع الصغيرة الصامتة ومن كثرة تعدد قواعدها التي ما زالت بقواعد بقية اللغات، غير أن هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع بها هذه اللغة تساندها من ناحية ثانية خصائص وميزات لا نجدها فيما تبقى من اللغات الجزرية مما جعل الدكتور أحمد علم الدين الجندي يذهب إلى أن يسمي هذه اللغات باللغات الأعرابية، واعتماداً على أن أصل هذه اللغات الجزيرة العربية وأن العربية أصل لهذه اللغات[٥] .

وعلى هذا الأساس نعتقد أن اللغة العربية هي اللغة الأم للّغات الجزرية لأسباب منها:

١- لم تعرف لغة من لغات العالم جزرية كانت أم غيرها بأنها تتحرر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في الحروف والمخارج العربية، فليس فيها حرف ملتبس بين مخرجين، ولا مخرج ملتبس بين حرفين[٦] .

فنلحظ من هذا أن العربية احتلت مكانةً عاليةً منقطعة النظير بين اللغات الجزرية، حتى دعا العبرانيين إلى أن جعلوا نحوهم مرتباً على غرار النحو العربي ولا سيما تقسيمات كتاب سيبويه.

٢- أن العربية لم تمتد إليها يد التحريف؛ من أجل أن الله تعالى تعهّد بحفظ كتابه الكريم القرآن العظيم، وحِفظه وحِفظها متعانقان.

٣- ما ورد في الأثر الشريف من أن النبي محمداً ﷺ قال: ((أنا عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي))[١] وإذا كان الأمر كذلك ثبت أن العربية هي الأم؛ لأن الكلام بها كان وبها سيكون .

---

(١) اللغات السامية في مجال علم اللغات، بحث منشور ضمن مجلة اللسان العربي ١٩٧٠م ص ٤٤ .
(٢) ينظر: فقه اللغة ١١ ، وفقه اللغات السامية ١٤ وما بعدها .
(٣) مولد اللغة ٣٢ ، وينظر علم اللغة ١٦٣ ، وتأريخ اللغات السامية ٥ ، ٦ .
(٤) ينظر: مولد اللغة ٣١ .
(٥) ينظر: في القرآن الكريم والعربية ١١.
(٦) ينظر: الأدب الجاهلي ٥٢ ـ ٧٥ وفي القرآن الكريم والعربية ١١ .
(٧) ينظر في الحديث: المقاصد الحسنة ٤٧ ، وتمييز الطيب من الخبيث .

المطلب الثاني

أقسام اللغات الجزرية

ويقسم علماء الجزرية لغاتها إلى قسمين: لغات جزرية شمالية، ولغات جزرية جنوبية[٢] وتنقسم الشمالية إلى طائفتين: شرقية وغربية، ويعنون بالشرقية: اللغات المتمركزة في العراق، وتسمى الأكادية، و تتألف من: البابلية والآشورية، ويعنون بالغربية: اللغات المتمركزة في بلاد الشام، و تتألف من اللغات الكنعانية والآرامية ومنها الأخلافية والفينيقية والبونية والعبرانية والسريانية والنبطية والموابية والأمورية والأوغاريتية ومن لهجات أخرى محلية، أما الجنوبية فتتألف من اللهجات العربية: المعينية والسبائية والقتبانية والحميرية والحبشية (الجغزية) ومن لهجات أخرى محلية.

وفيما يأتي مخطط يوضح هذا التقسيم:

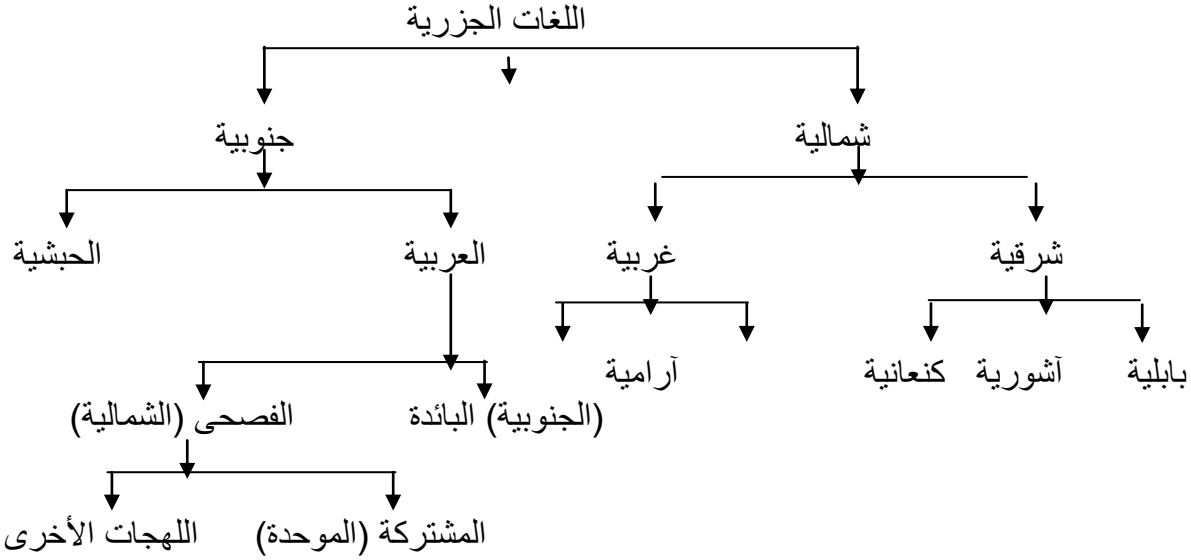

المطلب الثالث

ما تبقى من اللغات الجزرية

تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافاً كبيراً وواضحاً، فمنها ما تتاح له الفرص فينتشر في مناطق واسعة من الأرض ويتكلم به عدد غير قليل من الأمم كما هو الحال بالنسبة للإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومنها ما تسد أمامه المسالك فيكتب له أن يظل في منطقة ضيقة من الأرض يقتصر على فئة قليلة من الناس[١] ومنها ما يطوى فلا يعود إلاّ شيئاً من الماضي يرى في نقوش.

واللغات الجزرية لم تنل جميعُها الحظ الكافي للإنتشار إذ منها ما عتا عليه الزمن فصار تحفة أثرية ليس غير، ومنها ما كتب له العيش لكن عيشة ضنكى، ومنها ما استطاع أن يشق طريقه ويواصل كفاحه ليكتب له الخلود ويعيش عيشة راضية.

فلم يتبق من اللغات الجزرية (السامية) إلاّ: العربية، والعبرانية، والسريانية، والحبشية[٢] .

وقد كانت البابلية والأكادية والآرامية والكنعانية والتدمرية والسبائية تمثل الأقوام الجزرية الّذين تفرقوا إلى سوريا والعراق وفارس وفلسطين ولبنان وشمالي أفريقيا[٣] وكانت تكتب وتقرأ بالحروف التي ابتدعوها واتفقوا عليها، فكان لكل واحدة من هذه اللغات لهجتها التي تختلف بها عن أخواتها.

---

(١) انظر: علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ٢٠١ ،ودراسات في فقه اللغة ٤٩-٥١.

(٢) ينظر: علم اللغة د. علي عبد الأحد الوافي ١١٨ .

(٣) ينظر: عوامل تطور اللغة العربية وانتشارها، الدكتور عبد الرحمن الكيالي، مجلة اللسان العربي ٧٩ .

(١) ينظر: فصول في فقه اللغة ٢٠ ـ ٢٨ ، وفقه اللغة ٢٦ ـ ٣٣ ، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ١٢٥ ـ ١٣١ .

أما العبرية فقد انحصرت في بقايا بني إسرائيل بحسب العوامل الزمنية والسياسية والثقافية، وانحصرت السريانية في بعض القرى التي يقطنها بقايا الآشوريين في العراق وبعض قرى لبنان وسوريا وإيران، أما الحبشية (الأمهرية، والصومالية، والحميرية) فقد انحسرت في أثيوبيا والصومال[٤] .

أما اللغة العربية فقد كتب لها الخلود لما هيّأ الله تعالى لها من عوامل وأسباب أولها الديني، فبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وفتحت الكثير من البلدان على يد أولئك الرجال الّذين اشترى الله أنفسهم بأن لهم الجنة، ودخل أقوام تلك البلاد الدين الجديد، احتاجوا إلى تطبيق تعاليمه وأولها: الصلاة، ولا تصح الصلاة إلاّ بقراءة الفاتحة، ولا تقرأ الفاتحة وبقية القرآن إلاّ بالعربية، فكان هذا الأمر دافعاً ووازعاً الى أن يتعلموا اللغة الجديدة لغة الدين الجديد، ليربو عدد المتكلمين بهذه اللغة على المليار ونصف المليار تقريباً[٥] ومن العوامل الأخرى السياسية والتجارية والجغرافية، فبهذه العوامل وغيرها استطاعت اللغة العربية الصمود بوجه عاتيات الزمن وأن تخلد بخلود القرآن وتدوم بدوامه ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) .

المطلب الرابع

القرابة بين اللهجات الجزرية

إن القرابة بين اللغات (اللهجات) الجزرية (السامية) وشيجة واضحة المعالم بيّنة الترابط، وهي أوضح وأمتن وأوثق من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسمّاة باللغات الهندوأوربية ، وليس الاختلاف بين اللغات الجزرية القديمة يزيد على الاختلاف الكائن بين اللغات الجرمانية[١] .

لقد أدرك العلماء والباحثون ولا سيما المستشرقون الوشائج التي تربط بروابط متينة ما بين تلك اللغات وأشاروا إليها، ونوّهوا بصلة القربى التي تجمع شملها[٢] .

وسنوضح هذه القرابة إن شاء الله تعالى بأخذنا مجموعة من الظواهر التي تجمع بين هذه اللهجات أو اللغات الجزرية:

١. التنوين والتمييم:

النون والميم حرفان موجودان في كل اللغات(الجزرية)السامية فإذا وجد أحدها نظيراً للآخر فليس مردّ ذلك إلى ضياع الثاني لأننا نجده في الوقت نفسه في اللغة نفسها، ولن نحمل الأبدال بينهما إلاّ على التطور الّذي لا يكفي ذكره المجرد لمعرفة المتقدم من المتأخر .

والتمييم هو: إلحاق ميم ساكنة في آخر الاسم، والتنوين هو: إلحاق نون ساكنةٍ في آخر الاسم[٣] .

والّذي يهمنا هنا أن التمييم معروف في اللغات، فالأكدية القديمة تملك الميم بالمفردات، ويرد ذلك في نصوص حمورابي، لكن هذا التمييم لا يقيّد هذه النصوص بالتنكير[٤] والمثنى الأكدي ينتهي بالنون العربية، والجمع المؤنث ينتهي بالميم، ولا نجد التمييم أو التنوين في الأسماء العبرية والآرامية المفردة، لكننا نجد له آثاراً في كلمات عبرية مثل: خرطوم، وداروم (الجنوب) كما نجد لها آثاراً في الآرامية السريانية مثل: يمّا (فم) وإيماما (يوم)[٥] .

وفي الأوكاريتية لا نجد الميم إلاّ في نهايات الجموع المذكرة أو المثنى، أما الحبشية فإنها لا تمتلك تمييماً أو تنويناً ولكن المقطع (ان) في جمع المذكر السالم نستطيع أن نعدّه أحياناً تنويناً[٦] .والتمييم قد بقيت آثاره في بعض الصيغ والراجح أنه أقدم من التنوين، وقد بقيت في العربية آثاره بقلة عوملت الميم فيها معاملة الحرف

(٢) ينظر: عوامل تطور اللغة العربية وانتشارها، مجلة اللسان العربي ٧٩ .
(٣) بلغ عدد المتكلمين باللغة العربية ستمائة مليون نسمة عام ١٩٧٢م ينظر: علم اللغة د.علي عبد الواحد ٢٠٥.
١. ينظر: دراسات في فقه اللغة ٤١ ـ ٤٦ ، تأريخ اللغات ١/ ٢٢٥ ، فقه اللغات بروكلمان ١٤، ١٥ .
٢. ينظر: فقه اللغة ١٣ ، علم اللغة عبد الواحد وافي ١٩٧ ـ ٢٠٢ دراسات في فقه اللغة ٤٨ .
(٤) الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل ١٥ .
(٥) فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي ١٤٨.
(٦) الأدب الجاهلي بين اللهجات ١٦ .
(٧) الأدب الجاهلي ٦ .

الأصيل بعد أن بعُد المهد باستعمالها القديم منها: شدهم، وشهرم، وابنم، وشجحم، وحلقوم، والزنيم، وزرقم، وخضرم، ودخشم، وصعدم، وبلعوم، ووغم[١] .

وقد لاحظ أحد الباحثين أن قلب الميم نوناً معروف في العربية مثل: (دخشم، ودخشن) و (عمبر، وعنبر)[٢]

لكن الّذي نعرفه هو العكس تماماً، وهو قلب النون ميماً وهذا ما يسمى في علم الصوت بظاهرة الإقلاب، فـ (عنبر) تقلب نونها ميماً في اللفظ فتصبح (عمبر) وليس العكس[٣] وقد يقلب لكن شذوذاً كما في البنام أصله البنان[٤] .

٢. المثنى:

إن التثنية في اللغة العربية أمر معروف وهو إلحاق المفرد ألفاً ونوناً مكسورةً بآخره في حالة الرفع، وياءً ونوناً في حالتي النصب والجر، مثل رجل تكون رجلانِ ورجلينِ، وتسقط هذه النون عند الإضافة، تقول: رجلا البيت، ورجلي البيت، ويَفترِض رايت Wright قياساً على الحالات الإعرابية أن التثنية كانت تتسم بإلحاق واو ونون في حالة الرفع، وألفَ ونون في حالة النصب، وياءً ونون في حالة الجر، وأن هذه الحالات تقلّصت إلى الاثنتين المعروفتين[٥] .

قال الدكتور هاشم الطعان: ((وقياساً على رأي رايت ـ لو صح ـ يكون التزام الألف والنون في الحالات الإعرابية الثلاث تقلصاً آخر))[٦] .

ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أن هذه الظاهرة لغة قسم كبير من العرب، وهي معزوة إلى بني الحارث بن كعب وبني العنبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومراد وعذرة، ويفترض أن التزام الياء والنون في الحالات الثلاث لغة قبائل وجهات لم تنص المصادر على وجودها[٧] .

وبهذا يردّ الدكتور إبراهيم السامرائي مزاعم رايت WRIGHT والحق أن الّذي زعمه (رايت) لم يكن إلاّ افتراضاً إذ لا دليل على صحته .

ويظن حنفي ناصف أن ذلك اتساع في لغة هذيل التي تميل المقصور[١].

أما الأكدية فإن المثنى بها يلحق في المفرد (ان) في حالة الرفع، و (ين) في حالتي النصب أو الجر[٢] .

إن التمييز بين الحالات الإعرابية ضاع تدريجياً كما عليه اللهجة المحلية اليوم، وفي الأكدية طغت (ين) على (ان)[٣] كما في العربية المحلية الآن .

وتظهر الواو والنون ملحقة بالمثنى في البابلية الحديثة مما يدل أن هناك خلطاً بين الجمع والثنية[٤] .

وفي الأوكاريتية غير المحركة لا نستطيع أن نميز بين المثنى والجمع[٥] أما العبرية فقد بقيت فيها آثار من التثنية لأعضاء الجسم المزدوجة وبعض المزدوجات الأخرى مثل: المقص والسروال، وتكون بإلحاق ياء وميم[٦]. أما السريانية فلم يبق من التثنية بإلحق الياء والنون إلاّ ألفاظ قليلة مثل: ترين (اثنين) و ترتين (اثنتين) و مصرين (مصرين) وتتم التثنية فيما عدا ذلك بأن يسبق الاسم المفرد بكلمة (ترين) للمذكر و (ترتين) للمؤنث[٧] .

---

(١) تحقيق مسألة لغوية، زيادة الميم في بعض كلمات اللغة/ عبد القادر المغربي مجلة المجمع العلمي العربي دمشق م٣ ج٣ سنة ١٩٢٣م ، والتمييم والتنوين د. رمسيس جرسيس مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ج ١٣ ـ ١٩٦١ .

(٢) هو الأستاذ عبد القادر المغربي في بحثه الذي ذكر .

(٣) ينظر: شذا العرف ١٥٠ ، مذكرة في التجويد ٢٠ .

(٤) ينظر شذا العرف ١٥٠ .

(٥) الأدب الجاهلي ١٧ .

(٦) الأدب الجاهلي ١٧ .

(٧) فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي ٨٥ وما بعدها .

(٨) مميزات لغة العرب ٢٠ .

(٩) ، (٣) الأدب الجاهلي ١٧ .

(١٠) الجموع في اللغة العربية ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(١١) الأدب الجاهلي ١٨ .

(١٢) ينظر: الكنز في قواعد اللغة العبرية ٨٦ ،وفقه اللغة المقارن٧٧.

(١٣) اللمعة الشهية ١٥٧ ، والآداب السامية ٦٠ ، وفقه اللغة المقارن٧٧ودخيل أم أثيل الأستاذ عبد الحق فاضل، مجلة اللسان العربي ١٩٧٠ ص ٢١ .

أما المعينية فتكون التثنية فيها بإلحاق ياء بالمفرد ثم زيد مدّ ونون قبل العلامة الأولى، أما في السبئية فإن التثنية تكون بأن يسبق الاسم المفرد لفظ: ثاني (اثنين) وإذا كان الاسم معرفة ألحِق بآخره (هان)[٨] .

٣. الضمائر:

أما في هذا الصنف فإني سأعرض التشابه على شكل جدول ليكون أقرب إلى الفهم..

اللغة	العربية	العبرية	الأكدية	السبئية
ضمير المتكلم	أنا	[أنوفي]، آتي	[أناكو]، أ	آنا
ضمير المخاطب	أنتَ، أنتِ	أتَ، أتِ	أتا ، أتِ	ـ
ضمير الغائب	هو، هي	هوَّ ، هي	[شو ، شي]	هـ، هو، هوت، هي

أما الّذي بين حاصرتين معقوفتين فمخالف، والمكان الفارغ فهو ليس فيه ضمير لأنه مشترك .

المبحث الثاني

المطلب الأول

خصائص اللغات الجزرية (السامية)

اتسمت اللغات الجزرية بميزات خصتها عن غيرها هي[١] :

١. يتألف الأصل الجزري في الغالب من ثلاثة أصوات ساكنة (غير لينة) مختلفة (ق، ت، ص..)[٢] لكن لكل وجه من هذه الوجوه شواذ كثيرة منها:
   أ- إن بعض الأصول الجزرية يتألف من صوتين فقط، مثل: (عن، قد، بل..) والضمائر (هو، هم..) وأسماء الشرط والموصول والإشارة (من، ذا..) وبعض أسماء الذوات (يد، دم..) .
   ب- بعض الأصول السامية يتألف من صوتين ساكنين وصوت لين (قال، وعد..) .
   ج- وبعضها يتألف من صوتين ساكنين مضعف ثانيهما (تمَّ، ردَّ..) أما الكلمات التي تبدو رباعية الأصول في العربية والعبرية فهي متفرعة في الحقيقة عن أصول ثلاثية (دحرج مثلاً متفرعة من درج أو دحر..) .
٢. لا تكاد توجد في اللغات الجزرية كلمات تشتمل على أكثر من أصل واحد، على حين أن هذا النوع يكثر في اللغات الهندية ـ الأوربية ولا سيما الحديث منها، وكل كلمة من هذا القبيل تدل على معنى مركب من معاني الأصول التي تشتمل عليها[٣] .
٣. أن للأصوات الساكنة في اللغات الجزرية أهمية تزيد كثيراً على أهمية أصوات اللين، ويبدو هذا في ثلاثة أوجهٍ، في الدلالة والنطق والرسم.
٤. ليس للفعل في معظم اللغات الجزرية الازمنان: فعل انتهى زمنه (ماضٍ) وفعل لم ينته زمنه (مضارع للحال أو الاستقبال، وأمر)[٤] .
٥. يحدث في الغالب تأنيث الاسم والصفة في اللغات الجزرية والحامية بإضافة تاء إلى المذكر.
٦. تتشابه اللغات الجزرية كذلك في كثير من المفردات، ولا سيما المفردات الدالة على أعضاء الجسم، والضمائر، وصلة القرابة، والعدد، وبعض الأفعال، ومرافق الحياة الشائعة في الأمم السابقة.

٧. وفي بعض اللغات الجزرية (السامية) لوحظ نظام إعرابي دقيق تجلى في العربية والأكدية وبقيت آثاره في الأوكاريتية والعربية[١] .

---

(٨) ينظر: المختصر ١٣ .

(١) في هذه الخصائص ينظر: فقه اللغة لعبد الواحد وافي ١٢ وما بعدها ، فقه العربية د. رمضان عبد التواب ٤٥ ، ٤٦ ، في الأصوات اللغوية ١١٧، علم اللغة العربية/ حجازي ١٣٩ .

(٢) ذهب بعضهم إلى ان الأصول السامية ثنائية لا ثلاثية، وأن الثلاثي متفرع عن الثنائي، ينظر: هل العربية منطقية، أبحاث ثنائية السنية للأب مرمرجي ١٤٥ ـ ١٥٠ ، وانظر: علم اللغة عبد الواحد وافي ٢٠٦، ٢٠٧ .

(٣) توجد هذه الظاهرة في بعض كلمات السامية (الجزرية) الحديثة النشأة ولا سيما المنحوتة، ينظر: فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ١٨٠ .

(٤) يستثنى من ذلك اللغات الأكادية فإن للفعل فيها ثلاثة أزمنة، ينظر: علم اللغة د. عبد الواحد وافي ٢٠٢، ٢٠٣ .

ويرى بعض العلماء أن الفعل قد تطور في اللغات الجزرية تطوراً خطيراً استغرق قروناً طويلة، وأن ما نعرفه من تقسيم الأفعال إلى ماض ومضارع وأمر لم يكن معروفاً على هذا النحو عند قدماء الساميين[٢] .

إذن مما سبق توضيحه أن اللغة العربية من اللغات الجزرية (السامية) التي ظلّت الآراء مضطربة في الأصل المشترك للغات السامية، والعلم لم يعرف لحد الآن الكلمة الفصل فيها[٣] .

ومما هو جدير بالذكر أن اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة الأم؛ الأمر الّذي مكّنها أن تأخذ ما في اللغات الجزرية (السامية) من مزايا، وتتجنب إلى حد بعيد كثيراً من المزالق، مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية في الانفصال[٤] .

فأفادت العربية من تطوّر السريانية والعبرانية وما طرأ عليهما من تحوير فجاءت أقرب إلى النضج والاكتمال من شقيقتيها فكانت أكثر سعة واستقراراً.

المطلب الثاني

خصائص اللغة العربية

تميزت اللغة العربية بميزات وخصائص جعلتها تشخص من بين الجزريات؛ ويرجع هذا الأمر إلى عاملين مهمين[٥] :

اولهما أنها نشأت في أقدم مواطن الجزريين.

أما الثاني فان الموقع الجغرافي لهذا الوطن قد ساعد على بقائها حيناً من الدهر متمتعةً باستقلالها وعزلتها.

فالقدم والعزلة في صحراء متنائية الأطراف جعلا من العربية أمّاً محتفظة بخصائص الفروع التي ترجع إليها، وإن اختلفت معها في غيرها، فأهمّ الميزات أو الخصائص التي احتفظت بها العربية:

١. ثبات الأحرف الأصلية في الكلمات المشتقة من أصل واحد كأحرف (ض، ر، ب) مثلاً، فإن جميع المفردات التي تشتق من هذه المواد اللغوية محتفظة بالأحرف الأصلية الثلاثة، نقول: (ضَرْبٌ، وضَرَبَ، وضارِبٌ، ومضروبٌ، ومِضرَب، وضريب، وضرّاب) فضلاً عن الاحتفاظ بالمعنى الأصلي، وهذه الصفة لا تكون عند غير العربية[٦] .

٢. إن النص العربي مهما تباعد عهده يمكن أن يفهم في أي زمن من الأزمان وفي أي وقت من الأوقات؛ لمحافظتها على أصولها المتلئبَّة ودلالات أصولها، بخلاف اللغات الأخرى التي تتسع الهوّة بين نصوصها القديمة وبين ألفاظها التي انتهت منها بتطورها المستمر، مما يؤدي إلى جهل المعنى القديم أو الوقوع في خطأ جسيم فيحمّل اللفظ القديم المعنى الجديد .

٣. وفرة كلماتها، جاء في مقدمة تاج العروس: ((إن الصحيح يبلغ (٦ ٦٢٠ ٠٠٠) والمعتل يبلغ (٦ ٠٠٠) كلمة))[١] وقد احتوى الكتاب (١٢٠ ٠٠٠) كلمة.

٤. إنها أكثر اخواتها احتفاظاً بالأصوات الجزرية (السامية) إذ اشتملت على جميع الأصوات التي عند أخواتها وفضلتها بأصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة منها، هي: (التاء، والذال، والظاء، والعين، والضاد)[٢] .

٥. إن الأصل الواحد يتوارد عليه أكثر من معنى بتغييرات نزرة قد لا تتجاوز حركات أصواته في أكثر الحالات، مثل: (كَتَب، يَكْتُبُ، كُتِبَ، يُكْتَبُ، اكْتُبْ، كتابةً، كتاب، كاتب، مكتوب، كاتبون، مكتب، كتابات..) وهذا ما تفتقده اللغات الجزرية واللغات الأخرى.

٦. إن جمع التكسير يكاد يكون سمة خاصة بها لولا مشاركة أختيها الحبشية واليمنية القديمة، لكنها توسعت به توسُّعاً يجعله من السمات الخاصة بها، حتى أصبح للمفرد الواحد عدة صيغ في الجمع، تقول: (أسد، وأسود، وأُسْد، وآساد، و بحر، وبحار، وأبحر، وبحور..) وما غير ذلك .

---

(١) الأدب الجاهلي ٤١ .
(٢) علم اللغة عبد الواحد وافي ٢٠٣ .
(٣) ينظر: علم اللغة ١٥٦ ـ ١٨٧ ، فقه اللغة ١٠ ـ ١٢ للدكتور علي عبد الواحد وافي .
(٤) ينظر: تأريخ العرب قبل الإسلام ١/ ٢٢٢ وما بعدها .
(٥) ينظر: فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ١٥٨ .
(٦) ينظر: التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطويرها، مجلة اللسان العربي ١٩٧٠م ص ٥١ .
(١) مقدمة تاج العروس.
(٢) ينظر: عوامل تطور اللغة العربية، مجلة اللسان العربي ١٩٧٠م ص ٨٧ .

٧. وجود الإعراب في تراكيبها وعلاماتُه الفارقةُ لدلالات كلماتها وعلاقة كل مفردة بسابقتها أو لاحقتها، وهذا النظام لا نظير له بين أنظمة الجزريات إلاّ بعض الآثار الضئيلة في العبرية والآرامية والحبشية، بل حتى في اللغات الأخرى[٣] .

٨. وجود المترادفات بصورة لا يمكن تصوّرها في لغة من اللغات جزرية كانت أم غير جزرية، فقد جمع للأسد خمسمائة اسم، وللحية مائتا اسم، وللسيف أكثر من ألف اسمٍ[٤].. وما غير ذلك من المفردات التي يجمعها معنى واحد .

٩. وجود المشترك اللفظي في الكثير من تراكيبها وسياقاتها، ذلك اللفظ الّذي يتوارد عليه أكثر من معنى، والّذي قد يعتوره معنيان متضادان فيكون متضاداً، مثل: (مأتم، وجون..) والتضاد ميزة خاصة لا تمتلكها بقية اللغات[٥]

المبحث الثالث

المطلب الأول

المراكز التي تبلورت فيها اللغة العربية

إن المراكز التي تبلورت فيها العربية هي اليمن والحجاز، أما في اليمن فكانت اللغة العربية أكثر اتصالاً بالأكدية والحبشية من أي لغة أخرى، علماً أن الهجرات الجنوبية إلى الشمال والغرب أدت دوراً بارزاً في تأثير عربية اليمن في تلك المناطق، جاء في اللهجات العربية الغربية: ((وتقول الروايات العربية التي تعتبر العرب الغربيين هم وعدداً من القبائل الأخرى من اليمنيين: إن هذه القبائل قد هاجرت من اليمن إلى الشمال، وتدل الشواهد اللغوية في اليمن على أن متكلّمي العربية قد تسربوا إليها من الشمال في موجات))[١] .

أما في الحجاز فقد كان هناك تقارب بين العربية والعبرانية، على الرغم من أن لهجة الحجاز لم تكن لهجة غربية خالصة، لكنها تأثرت إلى حد بعيد بنفس اللهجات التي نشأت عنها العربية، ويمكن التعرف على هذا بشكل واضح من لهجة هذيل ولهجات اليمن[٢] وهكذا فإن الهجرات القحطانية والاحتكاك بالعدنانيين أدّى إلى نشوء ما يسمّى باللغة المشتركة .

وكان للهجرات اليمنية إلى الشام بمساعدة عاملين مهمين هما: عدم وجود الحكومة العربية، ورغبة العرب بوجه عام في الحفاظ على الروح القبلية ـ الأثرُ في توسيع نطاق اللغة العربية، بما شملته من تعدد المفردات للمعنى الواحد وهو ما يعرف بالمترادف، على أن القبائل العربية كان لها لهجات خاصة من دون أن يكون لهذه الخصوصية عائق أمام التفاهم بينها[٣] .

ولم يقتصر الوجود العربي على شبه جزيرة العرب موطناً لسكانهم بل هاجر كثير منهم إلى البلاد المجاورة لشبه جزيرتهم قبل الإسلام بقرون، فكانت لهم صِلات بمدنية الفرس والروم، فضلاً عن الصِلات التجارية في منطقتين مهمتين (العراق والشام) فكان لابدّ من دخول ألفاظ جديدة ذات علاقة بالحضارة والتجارة، أما لغة العرب فظلت مرتبطة بالجاهلية إلى حد بعيد بالمحسوسات وبما يقع شاخصاً أمام بصر العربي .

(٣) ينظر: فقه اللغة الدكتور حاتم الضامن ٥٥ ، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ١٦٢ مع الهامش رقم (١) وما بعدها، وفقه اللغة الدكتور علي عبد الواحد وافي ٢١٠ .
(٤) ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ١٠٦٣/١.
(٥) ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ٢٤٢ ـ ٢٥٠ ، والوجيز في فقه اللغة ٣٩٤ ـ ٣٩٦ .
(١) اللهجات العربية الغربية لرابين ٢٤،٢٦،٢٧،وينظر: فقه اللغة ٩٣،ودراسات في فقه اللغة ٥٢-٥٣.
(٢) ينظر: اللهجات العربية الغربية ٢٦-٢٧.
(٣) ينظر: فصول في فقه اللغة ٣١٦،وفقه اللغة١٨١ وما بعدها.

المطلب الثاني

أفصح اللهجات العربية

لما كان قانون: "من يمتلك النفوذ الديني ويمتلك المال يمتلك النفوذ السياسي" سائداً كان لقريش السيادة والزعامة على غيرها، لأن ذلك كان بيدها، وكان هذا مساعداً لها على أن تصهر جميع اللهجات العربية في بوتقها لتجعل منها لغة مشتركة[١] كان النصيب الأوفر من هذه اللغة لقريش*، فهل صارت بهذا أفصح القبائل؟ قال ابن فارس: ((أجمع علماؤنا بكلام الرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنةً، وأصفاهم لغةً؛ وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمداًﷺ فجعلهم قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة لسانها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن اللغات وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب))[٢] .

وجاء في المزهر: ((كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وإبانةً عمّا في النفس، والّذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتُدي، وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الّذين عنهم أكثر ما أُخِذ ومعظمه وعليهم اتّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين..))[٣] .

أما لغات من بعُد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن تامة النقاوة لمخالطتهم الأعاجم وعلى نسبة بُعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل العربية[٤] .

وهناك روايات تصف لهجات أخرى بالفصاحة[٥] قال الدكتور جواد علي: ((والقائلون بأن العربية الفصحى هي لسان قريش متأثرون من كون الرسول من قريش وبأن القرآن الكريم نزل بين قريش، فهو إذن بلغة قريش.. أما أن الرسولﷺ من قريش فهذا أمر مفروغ منه، وأما أن القرآن نزل بلسان قريش فمسألة فيها نظر، وقضية تحتاج إلى بحث، فلو كان القرآن بلسان قريش لم يسأل رجال منهم عن تفسير كلمات من كلام الله!..))[٦] .

وقد ورد أن قريشاً كانت أقل العرب شعراً في الجاهلية، فاضطرها ذلك إلى أن تكون أكثر العرب انتحالاً للشعر في الإسلام .

وورد أيضاً أن العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء إلاّ الشعر فإنها كانت لا تقر لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت له الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها .

وقد زُعم أن رسول اللهﷺ قال: ((أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أني من قريش)) فاختلفوا في معنى (بيد).. فيرى ابن هشام أنها بمعنى (من أجل) أي: من أجل أني من قريش[١] وفي هذا المعنى تكون قريش أفصح القبائل لغةً وأعلاها شأناً في عذوبة الألفاظ ودقة المعاني، ويرى غيره ومنهم ابن مالك أنها بمعنى (غير)[٢] فإذا كانت بمعنى غير فستكون منصوبة على الإستثناء وهذا يعني أن قريشاً لم تكن أفصح القبائل فلا يستشهد بكلامها إلاّ قليلاً .

وذهب رابين إلى أنها بمعنى (لولا) وهذا لم يذكره اللغويون العرب، قال: ((ولهذا الحديث في رأيي تفسير واحد هو: "لولا أني من قريش ونشأت في بني سعد لكنت أفصح العرب" ثم قال: أو "رغم أني من قريش.. فأنا أفصح العرب"))[٣] .

---

(١) ينظر: فقه اللغة ١٠٤ ـ ١٠٨ ، وعلم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ١٦٥ ـ ١٧٠ ، وفقه اللغة العربية ١١٦ ـ ١١٧.
* ينظر: ملامح من تاريخ اللغة العربية ٢٤.
(٢) المزهر ١/ ٢١٠ ، وينظر الصاحبي في فقه اللغة ٥٢ ، والاقتراح ٥٦ .
(٣) المزهر ١/ ٢١١ ، وينظر: الاقتراح ١٩، ٢٠ .
(٤) ينظر: المزهر ١/ ٢١١ ، والنحو العربي مذاهبه وتيسيره ٢٩ .
(٥) ينظر: اللسان مادة (قعن) .
(٦) تأريخ اللغات ١/ ٢٣٨ ، وينظر: دراسة اللهجات العربية القديمة ٣ .
(١) المغني ١/ ١١٤ ، وينظر: حاشية الدسوقي ١/ ١٢٣ .
(٢) ينظر: شفاء العليل ٢/ ٥١٦ ، حاشية الدسوقي ١/ ١٢٣ .
(٣) اللهجات العربية لـ (رابين) ٥٦ .

والحق أن رابين لم يكن في تفسيره الأول ملازما للصواب؛ لأنه جعل الرسولﷺ غير فصيح، إذ هو بتأويله هذا قد نفى عنه الفصاحة وهذا أمر محال، ولو كان ثمة رأي بهذا المعنى لذكره اللغويون العرب، أما المعنى الأخير الّذي ذكره فلا بأس به ولو أنه لا يبتعد عن معنى (غير) لأنه يظهر أن قريشاً لم تكن أفصح القبائل ومع هذا فإن الرسول الكريمﷺ وهو منهم كان أفصح العرب جميعاً .

أما الحديث فقد ذكر الشوكاني أنه لا أصل له ومعناه صحيح[٤] وقال السلسيلي: ((وهذا الحديث أكثر الناس على عدم صحته))[٥] .

فإذا ما ثبت أن هذا الحديث غير صحيح أو أنه موضوع فلا نستطيع الجزم بأن قريشاً لم تكن أفصح القبائل وما سواها كانوا أكفأ منها، والله أعلم .

أما القرآن الكريم فقد اختلف فيه بأي لغة نزل، فقال قوم: نزل بلغة قريش، وقال آخرون: بلسان أكثر القبائل[٦] وقد أجمل الطبري في تفسيره رأيه بقوله: ((إن القرآن كله عربي، وإنه نزل بألسن بعض العرب، دون ألسن جميعها، وإن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي بين أظهرهم ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها))[١] .

وقال السيوطي: ((وقال أبو بكر الواسطي: ".. في القرآن من اللغات خمسون لغة.."))[٢] .

وبعد ذلك يتضح أن الفصاحة لم تكن دُولةً بين أهل قريش ولم يكن القرآن منزلاً بعربيتها فحسب .

المطلب الثالث

أسباب انتشار اللغة العربية

إن انتشار اللغة العربية يعود إلى عوامل عدة، منها:

١. الصراع الّذي شهدته مع اللغات الأخرى، فكان النصر لها بعون الله، فدخلت اللغات تحت حكمها حتى بلغ عدد الناطقين بها ستمائة مليون بعد أن كان لا يتجاوز العشرة الآلاف! حيث يقطنون في الجنوب العربي والشمالي من جزيرة العرب[٣] .

٢. الهجرات الجماعية لقبائل العرب في العصور القديمة من اليمنيين والعدنانيين، وكذلك الفتوحات التي قام بها المسلمون، فكان من تأثير تلك الفتوحات والهجرات المتواليات وتلك الحضارة الشاملة انتشار اللغة العربية وازدهار فنونها وعلومها وآدابها؛ لأن الّذين هاجروا إلى تلك البلاد حملوا معهم الحضارة المشرقية الإسلامية، وتعاطوا التجارة والزراعة والصناعة ومتطلبات الحياة .

٣. انتشار الإسلام واعتناق الناس إياه ديناً لهم[٤] .

٤. القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة .

فكان لهذه العوامل آثار جليلة من أهمّها[٥] :

١. تقوية سلطان اللغة العربية .

٢. تهذيب اللغة العربية وتنقيتها والنهوض بها إلى أرقى مستوى للغات الآداب .

٣. اتساع الأغراض في الأجناس الأدبية .

---

(٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٣٣٧ ، وينظر: المقاصد الحسنة للسخاوي ١١٣ ، وكشف الخفاء ١/ ٢٣٢ ، والكشف الإلهي م١/ ٢٢٤ .

(٥) شفاء العليل ٢/ ٥١٦ .

(٦) ينظر: الإتقان ١/ ١٣٣ ـ ١٣٥ ، رسم المصحف ١٣٢، وما بعدها .

(١) تفسير الطبري ١/ ٤٧ .

(٢) الإتقان للسيوطي ١/ ١٣٥ .

(٣) ينظر: فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ١٢٣ وما بعدها .

(٤) ينظر: فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ٨٠ ، والعربية، يوهان فك ١٢ وما بعدها .

(٥) ينظر: فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ١١٤ .

المبحث الرابع

المطلب الأول

المصادر التي ترشدنا إلى البقية الباقية من اللهجات العربية

إن الّذي يرشدنا إلى ما تبقى من لهجات العرب ثلاثة مصادر:

الأول: القراءات القرآنية التي رويت عن أئمة القرّاء الموثوق بهم، والّذين نقلت إلينا قراءاتهم من طرق لا يتسرب الشك إليها[١] .

فقد روي عن النبيﷺ أنه قال: ((إن جبريلعليه السلام أتاني فقال: إن ربكﷻ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: اللهم خفف عن أمتي! ثم عاد فقال: إن ربكﷻ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت: اللهم خفف عن أمتي! ثم عاد وقال: إن ربكﷻ يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف))[٢] .

أما المصدر الثاني: فما روي في كتب النحو والأدب واللغة والتأريخ من آثار تلك اللهجات وهذا المصدر أقرَّ به المستشرقون أنفسهم[٣] .

وأما المصدر الثالث: فما عُثر عليه من نقوش ولا سيما المناطق التي هاجر منها العرب[٤] .

المطلب الثاني

مظاهر اختلاف اللهجات[٥]

إن الخلاف بين اللهجات مختلف الأنماط والأشكال كثير الجهات، فتارة يكون منبثقاً عن اختلاف الحروف، وأخرى عن تباين الحركات، وثالثة عن اختلاف حركات الإعراب والبناء، وأحياناً يتعلق بالنبر الصوتي لنطق الكلمة، ويمكن حصر مظاهر اختلاف اللهجات بما يأتي:

١. الإبدال: ويشمل الإبدال حرفاً من حرف وحركة من حركة .
٢. التصحيح والإعلال .
٣. الاختلاف في الإعراب .
٤. التردد بين الإعراب والبناء .
٥. الزيادة والنقصان .
٦. الفك والإدغام .
٧. هيأة النطق: وتشمل الإمالة والروم والإشمام والتفخيم والترقيق.. وما غير ذلك .
٨. دلالة اللفظ على معنيين: وهو المشترك والمتضاد .
٩. القلب المكاني: وهو التقديم والتأخير في الحروف .
١٠. الترادف: وهو دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد .

المطلب الثالث

مصادر اللغة العربية الأساسية

ويمكن أن نستقيها من القرآن الكريم والشعر والأمثال والقصص[١] .

---

(١) ينظر: اللهجات العربية في التراث ١٠٣ ـ ١١٤ ، ١٦٠ ـ ١٧٩ .
(٢) ينظر: رسم المصحف ٣٠ .
(٣) ينظر: اللهجات العربية لـ (رابين) ٢٦، ٢٩، ٤٥ ، العربية ولهجاتها ٣٩، اللهجات العربية في التراث ١١٥ ـ ١٢٣ .
(٤) ينظر: اللهجات الغربية لـ (رابين) ٢٣ ، وفصول في فقه اللغة ٥٠ وما بعدها، والعربية ولهجاتها ٣٩، والمدونات العربية لما قبل
(٥)الإسلام للدكتور جواد علي/ بحث منشور ضمن مجلة المجمع العلمي العراقي م/٣ ص ١٩٦ سنة ١٩٨٠ .
ينظر: العربية ولهجاتها ٤٣ وما بعدها ، اللهجات العربية في التراث ١/ ٧٠ ـ ٧٥ ، وينظر منه الباب الثالث والرابع والخامس .
(١) ينظر: العربية ولهجاتها ٣٢ ، اللهجات العربية في التراث ١٠٣ ـ ١٣٤ .

أما القرآن الكريم: فقد كان مصدراً عظيماً للّغة العربية إذ أغناها بمصطلحات كثيرة بأسلوب جديد، وكثيرٌ من هذه المصطلحات والأساليب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشريعة والعقائد والعبادات والمعاملات .

وقد حفظ القرآن الكريم عدداً من الاستعمالات والأساليب التي أغنت النحويين واللغويين للاستشهاد بها .

أما الشعر: فمصدر بالغ الأهمية للّغة، حتى قيل: لولا الشعر لضاع نصف اللغة، وإنما ظل الشعر مصدراً للّغة لسهولة حفظه وروايته، وقد حدّد الاستشهاد به بمقياسين: الأول زماني، والآخر مكاني .

وتقيدت بالشعر الألفاظ الغريبة والمعاني اللطيفة، وحفظ الرواة عنهم كثيراً من ذلك الشعر ودوّنوه، ورواه السلف والخلف واعتنوا به كابرا عن كابر.

وأما الأمثال: فتعتبر من المصادر الأصيلة للّغة العربية، وللعرب منها الشيء الكثير، وهي ذات أهمية بالغة من حيث ارتباطها اجتماعياً وأدبياً بحياة العرب، كما أن كثيراً منها يصلح تطبيقه على غير العرب من الأمم والأفراد، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على سعة الفكر العربي وتعقيده لا بساطته.

وأما القصص ـ وهذا الأخير مرتبط بسالفه ـ فوراء كل مثل قصة، وقد حفظت لنا كتب الأمثال الكثير منها وبخاصة: مجمع الأمثال للميداني، والأمالي للقالي، والأغاني لأبي فرج الأصفهاني، والبيان والتبيين للجاحظ، وكذلك كتب الأخبار .

وخلاصة القول: أن القرآن الكريم والشعر والأمثال والقصص كان لكل منها دور بارز في حفظ اللغة وتقويمها، غير أن جميع الدراسات اللغوية أثبتت بوضوح أن سبب نشأة اللغة العربية ونموّها واتساعها وشمولها وتبلورها وتطورها وتقدّمها على غيرها وبروزها بين اللغات الجزرية (السامية) هو القرآن الكريم قبل غيره؛ وذلك أن ألفاظاً كثيرة يرددها القرآن الكريم كانت مثار أسئلة المسلمين منذ عهد الرسولﷺ ولعل أبرزها سؤالات نافع إلى ابن عباسرضي الله عنه وكان بين هذه الألفاظ ألفاظ غير عربية فكان المعنى اللغوي يتعين فهمه قبل الإقدام على التأويل الشرعي، فنشأ عن ذلك العناية بتفسير القرآن الكريم .

واختلفت الروايات في قراءة القرآن فنشأ علم القراءات التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالنحو واللغة والتشريع .

وإذا كان للقرآن الفضل في انتشار اللغة العربية بشكل لم تكن تعرفه لغة أخرى في العالم فإن الموارد الأخرى التي استقى منها الرواة ودارسو اللغة الأوّلون قد أدّت بدورها خدمة للعربية لا تنكَر .

وإلى البصريين يرجع الفضل بطبيعة الحال في تحقيق اللغة وتمييز صحيحها من سقيمها وغريبها من مستعملها، وإن كان الكوفيون قد ساهموا بدورهم في هذا الميدان إلاّ أن مؤلفاتهم في العموم لم يتح لها تأثير كبير من حيث الذيوع والانتشار[1] .

أما الحديث فلم يستشهد به عند القدماء حتى جاء ابن مالك واستشهد به فكان مصدراً آخر للّغة .

ومن خلال هذا نجد أن العربية بين أخواتها الجزرية متألّقة، فأي اللغات تتجلى عليها بكثرة موارد أو بكثرة خصائص وأساليب؟

الخاتمة

وفي نهاية المطاف توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١) يمكن عدّ اللغة العربية أقدم اللغات الجزرية، وينبني على هذا أن الألفاظ التي عدّت غير عربية في القرآن الكريم عربيّة؛ لأنها ذات منشأ عربي .

٢) إنّ احتفاظ اللغة العربية بخصائصها وميزاتها يمكن أن يسهم بشكل كبير وفعال في دراسة بقية اللغات السامية، وكيفية تطور المفردات عند العربية وعند غيرها.

٣) تعدّد مصادر اللغة العربية جعلها الأوضح والأبرز بين بقية أخواتها؛ وتعدّد الموارد يحافظ على الأصل، حيث إذا فقد واحد منها حل الثاني بديلاً عنه .

ثبت المظان

القرآن الكريم (مصدر العربية الأول) .

١. أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد .

(١) ينظر: العربية/ يوهان فك ٥٩ .

٢. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، وبهامشه: إعجاز القرآن للباقلاني، دار مكتبة الهلال (د:ت) .
٣. الآداب السامية، محمد عطية الابراشي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٤٦م .
٤. الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة، الدكتور هاشم الطعان، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق ١٩٧٨م .
٥. الاقتراح، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحـ: محمد علي البنا، ١٩٧٦م، القاهرة .
٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١هـ) دار الكتب العلمية ط/١ ، ١٩٨٨م لبنان .
٧. تاج العروس، للزبيدي، محمد مرتضى، مط الخيرية، طبعة الكويت .
٨. تأريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بغداد ١٩٥١ ـ ١٩٥٨م .
٩. تأريخ اللغات السامية، ولفنسون ـ مط الاعتماد، مصر ١٩٢٩م .
١٠. تأريخ اليمن الثقافي، أحمد حسين شرف الدين، ١٩٦٧م، مصر .
١١. تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين (ت ٦٠٤هـ) دار الفكر للطباعة والنشر .
١٢. تمييز الطيب من الخبيث، فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، للشيخ الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن البديع الشيباني الشافعي الأثري، المتوفى ١٩٦٣م، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر (د:ت) .
١٣. جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٣٧٤هـ
١٤. الجموع في اللغة العربية، باكزة رفيق حلمي، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٧٢م .
١٥. حاشية الدسوقي، محمد أحمد بن عرفة، على مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بمصر، ١٣٨٦هـ .
١٦. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، المكتبة الأهلية، ط/٢، ١٩٦٢م، بيروت .
١٧. دراسة اللهجات العربية القديمة، للدكتور داود سلّوم، مط المكتبة العلمية، ط/١ ١٩٧٦م باكستان
١٨. رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية،للدكتور غانم قدوري الحمد، منشورات اللجنة الوطنية، بغداد، ط/١، ١٩٨٢م .
١٩. شذا العرف في فن الصرف، أحمد علي الحملاوي، مط مصطفى البابي الحلبي، ط/١٥، ١٩٦٤ .
٢٠. شفاء العليل في إيضاح التسهيل، لآبي عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي، تحـ: الدكتور الشريف عبد الله علي الحسيني البركاتي، مط المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط/١ ١٩٨٦م .
٢١. الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحـ: أحمد صقر، مط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧م .
٢٢. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠م .
٢٣. علم اللغة، الدكتور علي عبد الواحد وافي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٣، ١٩٥٤م .
٢٤. علم اللغة العربية، الدكتور فهمني حجازي، وكالة مطبوعات الكويت، ١٩٧٣م .
٢٥. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت في القرن التاسع الهجري) مط دار الجيل، بيروت (د.ت) .
٢٦. فصول في فقه اللغة، الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٧٣ .
٢٧. فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧م .
٢٨. فقه اللغة، الدكتور حاتم صالح الضامن، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م .
٢٩. فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط/٦، مطبعة نهضة مصر .
٣٠. فقه اللغة العربية، الدكتور كَاصد ياسر الزيدي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٧م .
٣١. فقه اللغة المقارن، إبراهيم السامرائي،دار العلم للملايين،ط١٩٧٨/٢،بيروت.
٣٢. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لعبد الرحمن الشوكاني اليماني، المكتب الإسلامي بيروت، ١٣٩٢هـ .

٣٣. في الأصوات اللغوية، الدكتور غالب المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٤م
٣٤. في القرآن والعربية من تراث لغوي مفقود، للدكتور أحمد علم الدين الجندي، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، السعودية، ١٤١٠هـ .
٣٥. الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع الواهي، لمحمد بن محمد الحسيني، محمد محمود أحمد بكار، مط الطالب الجامعي، ١٩٨٧م .
٣٦. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للمفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ) أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت .
٣٧. الكنز في قواعد اللغة العبرية، محمد بدر، مط التجارية، مصر .
٣٨. لسان العرب، لجمال الدين محمد بن منظور، مط دار صادر، بيروت ١٩٦٨م .
٣٩. اللمعة الشهية، أقليميس يوسف داود، ط/٢، ١٨٩٦م، الموصل .
٤٠. اللهجات العربية الغربية القديمة، رابين، ترجمة عبد الرحمن أيوب، جامعة الكويت، ١٩٨٦م .
٤١. اللهجات العربية في التراث، الدكتور أحمد علم الدين الجندي، مطبعة الهيأة المصرية العامة .
٤٢. المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، إغناطيوس غويدي، القاهرة، ١٩٣٠م .
٤٣. المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، مط الأميرية بولاق مصر ١٣١٦هـ .
٤٤. مذكرة في التجويد، تجويد رواية حفص عن عاصم طريق الحرز (الشاطبية) محمد نبهان حسين مصري، بغداد .
٤٥. المزهر في علوم العربية وأنواعها، السيوطي، تحقيق جاد المولى، والبجاوي، وأبي الفضل إبراهيم، ط/٣، مصر، عيسى البابي الحلبي .
٤٦. مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٧م .
٤٧. المفصل، الزمخشري، مط التقدم مصر، ١٢٣٢هـ .
٤٨. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) صححه وعلق حواشيه عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٨٧م .
٤٩. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن محمد، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط/٢، ١٩٦٨م .
٥٠. ملامح من تاريخ اللغة العربية ،د.أحمد ناصيف الجنابي ،دار الرشيد للطباعة١٩٨١م .
٥١. مميزات لغة العرب، حنفي ناصف، ط/٢، مط جامعة القاهرة، ١٩٥٧ .
٥٢. مولد اللغة، الشيخ رضا العاملي .
٥٣. النحو العربي مذاهبه وتيسيره، للدكتور مجد جيجان الدليمي، والدكتور محمد صالح التكريتي، والدكتور عائد كريم علوان الحريزي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد .
٥٤. من تراثنا اللغوي، الدكتور طه باقر، بغداد ١٩٨٠م .
٥٥. الوجيز في فقه اللغة، للشيخ محمد الأنطاكي، منشورات دار الشرق، ط/٢، (د:ت) .
٥٦. هل اللغة منطقية، أبحاث ثنائية مرمرجي الدونكي، ١٩٤٧م .

المجلات

١. مجلة اللسان العربي، سنة ١٩٧٠م، المغرب، م٧، المقال الأول: اللغات السامية في مجال علم اللغة، محمد سليم رشدان، المقال الثاني: عوامل تطور اللغة العربية وانتشارها، الأستاذ عبد الرحمن الكيالي .
٢. مجلة المجمع العلمي العراقي ،سنة ١٩٨٠م،م/٣ص١٩٦ المدونات العربية قبل الإسلام، د.جواد علي.
٣. مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، سنة ١٩٢٣م، م/٣، ج٣، تحقيق مسألة لغوية: زيادة الميم في بعض كلمات العربية .
٤. مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٦١م، ج١٣، التمييم والتنوين، د: رمسيس جرسيس .